المقدمة

الحمدُ لله الحي القيوم، مُسيِّر الأفلاك والنجوم، خالق الكائنات بقَدَرٍ معلوم .

سبحانه خلق الإنسانَ وألهمه العلوم ، وآتاه من الخير وفق النصيب المقسوم وجعل في أموال الموسرين حقًّا للسائل والمحروم .

وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الديَّان ، الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وتفضَّل على خلقه بالجود والإحسان ، وقلَّبَ أحوالهم بين اليسر والعسر والنَّعمة والحرمان .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله ، وصفيُّه من خلقه وحبيبه أرسله ربه هاديًا وجعله بالمؤمنين رحيما، ورفع ذكره وزاده إجلالاً وتكريما ، وقال في شأنه:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

اللهم صلِّ وسلِّم عليه وعلى آله وصحبه صلاةً وسلامًا لا يَدَعان فينا شقيًّا ولا محروما .

أما بعد ، فإن الشعر خلاصة القلوب ، وعصارة النفوس ، وثمرة التجارب التي تُثير كوامنه وتبعث على إبداعه .

كما أن الشعراء من أكثر البشر تأثُّرًا بما يدور حولهم من أحداث ، ومن أشدِّ الخلق تألُّمًا لما يترل بهم من خطوب ، وهم يجعلون من إبداعهم مرآة صادقةً تُجلي هذا التأثُّر ، وتعكس ذلك التألُّم .

وقد اقتضت سُنَّةُ الله في خلقه أن تتفاوت أحوال عباده فيما يُرزقون من نِعَم وفيما يُؤتَون من خيرات ، فنرى منهم الثَّريَّ والمعدم، والصحيح والسقيم والشقي والسعيد والمترف والمحروم :

﴿ .... سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (*) .

---

(١) الآية (٥٦) من سورة الأحزاب .

(*) من الآية (٨٥) - سورة غافر .

(* *) الآيتان (١٩ ، ٢٠) من سورة المعارج .

وقد جُبلت النفس البشرية على الجهر بالشكوى أكثر من التحدث بالنعمة ، فلا نكاد نجد مَنْ يعرض لنا ألوان ثرائه ، وصنوف نعمه ، ولا من يحدّثنا عن تكامُل صحته ومظاهر قوته ، لأن هؤلاء يرون هذه الأمور أسرارًا ينبغي سترها بعباءة الكتمان حتى لا تكون عرضة لسهام الحسد التي تزيلها أو تكدِّر صفوها .

وفي الجانب الآخر نرى رفاق الحرمان يجهرون بالشكوى ، ويجأرون بالأنين رغبةً في التنفيس عن نفوسهم،أو استجداءً للمعروف والشفقة من غيرهم ، وقد صدقت فيهم كلمة ربهم: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [سورة المعارج ١٩ : ٢٠] .

ولم يكن الشعراء بمنأى عن هذه القاعدة العامة ، بل شاركوا غيرهم في التأثر بالحرمان ، وزادوا عليهم في الإحساس بمعاناته نظرًا لما مُنحه بنو القريض من رقة في الحسّ ، ورهافةٍ في الشعور جعلتْ إحساسهم بالحرمان أشدَّ من غيرهم ، فزادت معاناتهم ، وتضاعف حرمانهم .

ولمّا كان الشعراء أصحاب نفوس عالية وهمم سامية تُنزلهم من أنفسهم في أعلى المنازل ، وتُبوِّؤُهم من أخيلتهم في أسمق المراتب – فقد أحسُّوا بالغبن لمّا لم يجدوا في واقعهم ما رسمته لهم مخايلهم حتى استحال الحرمان عند كثيرٍ منهم إلى لونٍ من الشقاء النفسي الممتزج بالنقمة والسخط على بني البشر .

وقد وجد هؤلاء الشعراء المحرومون في إبداعهم متنفّسًا للشكوى ، ومجالاً للتنفيس فتردَّدت في أشعارهم أصداء لنفوسهم المحرومة ، وقلوبهم المكلومة وعزفوا لنا على قيثارة الألم ألحانًا ممتزجةً بالأنات ، مُبلّلةً بالعبرات ، تفيض بالأحزان ، وتطق بالحرمان .

ومَنْ يُطالع سجلّ الشعر العربي طوال عصوره المتلاحقة يجده حافلاً بصور شتّى من الحرمان تتراءى بين صفحاته محاطةً بإطارٍ من الأسى ، مصطبغةً بصبغةٍ من المعاناة .

وقد تتابع الإبداع الشعري في ميدان الحرمان من عصر إلى عصر مُعبِّرًا عن أحاسيس الشعراء ؛ حاملاً ملامح العصر ، كاشفًا عن أحوال المجتمع ، حتى جاء العصر الحاضر الذي شهد تحوُّلاً كبيرًا في قصيدة الحرمان ؛ حيث كثر أصحابها كثرةً هائلةً غير مسبوقة في أي عصر من العصور السالفة كما تعددت موضوعاتها وتجددت معالمها وتطوَّرتْ في شكلها ومضمونها على صورةٍ تواكب تطوُّر العصر وتنوُّع ثقافاته

ومن منطلق هذه الأهمية البالغة لقصيدة الحرمان – لاسيما في عصرها الحاضر– وبدافع رغبتي المُلِحَّة في إماطة اللثام عن هذا اللون من الشعر في أدبنا المعاصر عن طريق دراسة علمية تعالج ألوانـه ، وتوضح خصائصه .

وقد جعلتُ العنوان"أصداء الحرمان في الشعر المعاصر في ضوء النقد الحديث".

ومِمَّا قوَّى في نفسي تلك الرغبة في إعداد هذه الدراسة أن شعر الحرمان المعاصر على غزارة نتاجه ، وتنوُّع موضوعاتـه ، وتميُّزه من الناحية الفنية – لم يحـظَ بدراسـة علمية جادة تكشف عن اتجاهاتـه ، وتجلي سماتـه .

وقد كان منـهجي في هذه الدراسة أن أقوم – أولاً – بدراسة شعر الحرمـان المعاصر دراسة موضوعيَّة في ضوء المنـهج النفسي للنقـد مـع مراعـاة الاقتصـاد في استخدام الآراء والنظريات النفسيَّة ، والاقتصار منـها على مـا يُفيـد في فهـم الـنصّ وشرح نفسيَّة المبدع .

ثم أتبع هذه الدراسة بدراسة شعر الحرمان في ضوء المنـهج الفنِّيّ بغية التعرُّف على أهم الظواهر الفنية له في جوانب المضمون الشعري والتشكيل الإبداعي .

وبعد ذلك أقوم بدراسة شعر الحرمان في ضوء المذاهب النقدية الحديثة محـاولاً إيضاح أثر هذه المذاهب في نتاج الشعراء المحرومين ، مُسجِّلاً ما تحقَّق من سمـات كـلّ مذهب في قصيدة الحرمان المعاصرة هذا ، وقد التزمت في منهج هذه الدراسة أمورًا منها :

أولاً : نسـبة الأبيات موضع الدراسة إلى وزنـها العروضي .

ثانيا : شرح معاني المفردات الصعبة الواردة في النصّ بعد الرجوع إلى معاجم اللغة .

ثالثا : إيراد بعض الإشارات النحوية والصرفية والعروضية والبلاغية والتاريخية المتصـلة بالنصّ، والتي رأيتـها مُهمَّة في مواضعها مع نسبتـها إلى مراجعها المتخصصة .

رابعًا : مناقشة الآراء النقدية التي وُجِّهتْ إلى النص – متى وُجدت – مناقشـة علميـة موضوعية .

خامسًا : الترجمة للأعلام الواردة في البحث : المشهور منـها وغير المشهور مستثنيًا مـ ذلك أعلام الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) ، والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) ؛ وذلك لما يتبوَّؤُهُ هؤلاء وأولئك من مكانةٍ سامقةٍ ، وشهرةٍ بالغةٍ لا تليق معها الترجمة لهم كذلك لم أترجم لبعض الأعلام المعاصرين الذين لم تنـهض كتب التراجم بأمر الترجمة لهم بعد.

سادسًا : مراعاة الموضوعية التامة ، والحَيْدَة الكاملة في نقد النصوص وعرض الآراء .

- وقد تطلبت طبيعة البحث أن يأتي في ثلاثة أبواب تسبقها مقدمة وتمهيد وتلحقها الخاتمة والفهارس . وذلك على التفصيل التالي :

المقدمة : وهي تتناول الحديث عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومنهج دراسته وخطّة السير فيه .

التمهيد : ويتضمن ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الحرمان : مفهومه – اتجاهاته – علاقته بالإبداع الأدبي .

المبحث الثاني : من صور الحرمان في الشعر العربي القديم .

المبحث الثالث: المعاصرة في الشعر المصري: حدودها الزمنية وملامحها الفنية.

الباب الأول : "شعر الحرمان المعاصر في ضوء المنهج النفسي" ويضم مدخلا وستة فصول :

المدخل : وعنوانه "المنهج النفسي في الدراسات النقدية : إطلالة عامة".

الفصل الأول : الحرمان الجسديّ .

الفصل الثاني : الحرمان الماديّ .

الفصل الثالث : الحرمان من الحرية .

الفصل الرابع : الحرمان من الوطن .

الفصل الخامس : الحرمان العاطفي .

الفصل السادس : الحرمان الاجتماعيّ .

الباب الثاني : "شعر الحرمان المعاصر في ضوء المنهج الفنيّ" .ويشمل مدخلاً وستة فصول :

المدخل : وهو بعنوان " المنهج الفنيّ في الدراسات النقدية: إطلالة عامة" .

الفصل الأول : التجربة الشعرية والعاطفة .

الفصل الثاني : سمات البُعد الفكرى .

الفصل الثالث : ظواهر لغويَّة وأسلوبيَّة .

الفصل الرابع : الخيال الشعرى وملامح تشكيل الصورة .

الفصل الخامس : البناء الفنّى ووحدة القصيدة .

الفصل السادس : الإطار الموسيقىّ والقيم الإيقاعية .

الباب الثالث : " شعر الحرمان المعاصر في ضوء المذاهب النقدية الحديثة " . ويتألف من مدخل وأربعة فصول :

المدخل : وهو تحت عنوان : " المذاهب النقدية الحديثة : إطلالة عامة " .

الفصل الأول : شعر الحرمان المعاصر في ضوء المذهب " الكلاسيكي " .

الفصل الثاني : شعر الحرمان المعاصر في ضوء المذهب" الرومانسي " .

الفصل الثالث : شعر الحرمان المعاصر في ضوء المذهب " الواقعي " .

الفصل الرابع : شعر الحرمان المعاصر في ضوء المذهب " الرمزي " .

الخاتمة : وهي تُلَخِّص أهم نتائج البحث ، كما تعرض بعض المقترحات والتوصيات المتصلة بمجاله .

* * *

أما بعد ، فإنَّ العمل البشريَّ – دائمًا – موسومٌ بالنقص ، ولا يرقى إلى درجة الكمال ؛ إذ هو لله (سبحانه وتعالى) وحده .

وهذه الدراسة من قبيل ذلك العمل البشري ، فلا أدَّعي لها التمام ، ولا أنسبها إلى الكمال ، بل أقول : إن كنت قد وُفِّقت فيما أتيت فلله الحمد على عونه وتوفيقه وإن كانت الأخرى فحسبي أنني لم أدَّخر وسعًا في سبيل إعدادها وتهذيبها .

والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل

الكاتب

عصمت محمد أحمد رضوان

obeikandl.com

المبحث الاول
الحرمان : مفهومه – اتجاهاته
علاقته بالإبداع الأدبي

الحرمان في اللغة مصدر الفعل " حَرَمَ " بمعنى " مَنَعَ " .

جاء في كتاب العين " وَالمَحْرُومُ : الذي حُرِمَ الخيرَ حِرْمَانًا [1] .

ويقول صاحب الجمهرة : وَحَرَمْتَ الرجلَ تَحْرِمُهُ حِرْمَانًا إِذَا سَأَلَكَ فَمَنَعْتَه [2] .

وفي لسان العرب : حَرَمَهُ الْشيءَ يَحْرِمُهُ حِرْمَانًا : مَنَعَهُ الْعَطِيَّةَ ، وَرَجُلٌ مَحْرُومٌ: مَمْنُوعٌ مِنَ الْخَيْرِ وَغَيْرِهِ [3] .

فالمعنى اللغوي للكلمة يدور حول المنع من الشئ .

وقد استعمل القرآن الكريم لفظ " المحروم " – وهو اسم مفعول من الحرمان – بمعنى الممنوع من الخير ونحوه ، وذلك في أربعة مواضع من كتاب الله (عز وجل)، حيث ورد اللفظ مفردًا في موضعين هما : قوله تعالى في وصف المتقين :

﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [سورة الذاريات:١٩]

وقوله (سبحانه) :

﴿ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ٢٥ ﴾ [سورة المعارج٢٤ :٢٥]

والمحروم في الآيتين معناه " الممنوع عن الخير " [4] .

---

(١) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي - مادة " ح . ر . م " ٤ / ٢٢٣ ، تحقيق الدكتور / مهدي المخزومي ، والدكتور إبراهيم السامرائي - ط دار الرشيد للنشر (وزارة الثقافة والإعلام العراقية) ١٩٨١م .

(٢) انظر : كتاب جمهرة اللغة لابن دريد - مادة " ح . ر . م " ٢ / ١٤٣ - مكتبة الثقافة الدينية - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٣) راجع : لسان العرب لابن منظور الإفريقي – مادة " ح . ر . م " ١٢ / ١٢٥ – ط دار صادر بيروت لبنان - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم - إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢ / ٧٣ - طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .

كما جاء لفظ الحرمان مجموعًا في موضعين من القرآن الكريم هما: قوله (عز وجل) على لسان الخلق في حال جعل حرثهم حطامًا : ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [سورة الواقعة:٦٧]، وقوله (تبارك اسمه) حكاية عن أصحاب الجنة بعد إهلاكها: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [سورة القلم:٢٧]،والمعنى في الآيتين" ممنوعون عن الخير " [١] كذلك .

كما استخدمتْ السنة النبوية الشريفة لفظ " المحروم " بمعنى الممنوع من الخير والرزق، ومن ذلك قول الرسول الكريم ﷺ[٢]: الْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ وَصِيَّتَه"،وقولهﷺ[٣]: " فَمَا عَفَا عَنْه مِنْ ثَمَرِهِ فَهُوَ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ "، وقولهﷺ[٤]: " أَيُّمَا مُسْلِمٍ ضَافَ قَوْمًا فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا فَإِنَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ نَصْرَهُ حَتَّى يَأْخُذَ له بِقِرَى لَيْلَتِه منْ زَرْعِهِ وَمَالِهِ " ، فكلمة " المحروم " في هذه الأحاديث تعني الممنوع من الخير أو الرزق .

وبهذا المعنى – أيضًا – ورد لفظ الحرمان ومشتقاته في الأدب العربي القديم يقول (علقمة بن عبده) [٥] :

وَمُطْعَمُ الغُنمِ يَومَ الغُنمِ مُطعَمُهُ ∴ أنَّى تَوَجَّهَ وَالمَحرومُ مَحرومُ [٦]

والمحروم في البيت معناه الممنوع من الغنيمة .

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ / ٧٣ .

(٢) الحديث في سنن ابن ماجه ٢ / ٩٠١ - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - ط دار إحياء التراث العربي - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٣) الحديث في سنن أبي داود ٣ / ١١٧ – تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٤) الحديث في سنن الدارمي ٢ / ١٣٤ - حقق نصه وخرّج أحاديثه وفهرسه / فواز أحمد زمرلي ، وخالد السبع العلمي - ط دار الريان للتراث بالقاهرة . ودار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

(٥) هو علقمة بن عبدة بن عبد المنعم النعماني اللقب بـ (علقمة الفحل) شاعر جاهلي ينتهي نسبه إلى نزار توفي نحو سنة ٦٠٥ م ، وله ديوان شعر مطبوع . (انظر ترجمته في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي ١ / ١٧٥ - تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد - ط عالم الكتب - بيروت - لبنان ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م ، وشعراء النصرانية في الجاهلية للأب لويس شيخو ٤ / ٤٩٨ - ٥٠٩ - مكتبة الآداب - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٦) البيت في المفضليات للمفضل الضبي ص٤٠١ - تحقيق / أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون - ط دار المعارف - الصبعة الثامنة - دون إشارة إلى تاريخ الطبع ، وديوان علقمة بن عبدة ص ٥٦- شرح / سعيد نسيب مكارم - ط دار صادر - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٦ م ، وهو من البسيط التام ، ومعناه كما جاء في حاشية ص ٤٠١ من مفضليات : "والذي جعل الغنم له طعمة فسيطعمه في يوم الغنم أينما توجه ، ومن حرمه فليس بناله " .

ويقول (الفرزدق) [1] في وصف الصياد :

فَآبَ رامي بَـني الحِرمـانِ مُلتـــهفاً [2]

يَمشي بِفَوقَينِ [3] مِن عُريانِ مَحطومِ [4]

ومعنى الحرمان في البيت : المنع من القوت .

ويقول (أبو الطيب المتنبي) [5] في الحكمة :

وَما يوجِعُ الحِرمـانَ مِـن كَـفِّ حـارِمٍ

كَما يوجِعُ الحِرمانُ مِن كَـفِّ رازِقِ [6]

والحرمان – هنا – معناه المنع من النَّوال .

ويقول (أبو فراس الحمداني) [7] في الحكمة :

خَـيرٌ مِـنَ النَّجـاحِ لِلإِنسـانِ إِصـابَةُ الـرَّأيِ مَـعَ الحِرمـانِ [8]

---

(١) هو همام بن غالب بن صعصعة شاعر أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة ، حتى قيل : لولا الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، توفي سنة عشر ومائة من الهجرة ، وله ديوان شعر مطبوع . (انظر ترجمته في : معجم الشعراء للمرزباني ص ٤١١ - ٤١٣ - صححه وعلق عليه الأستاذ الدكتور / ف . كرنكو - ط دار الجيل - بيروت لبنان - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، والأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين - تأليف / خير الدين الزركلي ٨ / ٩٣ - ط دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة الثامنة تموز (يوليه) ١٩٨٩ م .

(٢) المُلتهف:اسم فاعل من الالتهاف وهو الأسى والغيظ .(راجع: لسان العرب مادة " ل .هـ ف" ٩ / ٣٢)

(٣) الفوقُ : موضع الوتر من السهم . (انظر : السابق مادة " ف . و . ق " ٩ / ٣٢١) .

(٤) ديوان الفرزدق ٢ / ٢٤٦ - قدم له وشرحه / مجيد طراد - ط دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م - والبيت من بحر البسيط التام .

(٥) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجُعفي الكِنديّ المعروف بالمتنبي من أهل الكوفة ، ولد في " كندة " سنة ٣٠٣ هـ ، وقال الشعر صبيا ، وهو أحد مفاخر العرب ومن العلماء من يُعدُّهُ أشعر الإسلاميين ، توفي سنة ٣٥٤ هـ ، وله ديوان شعر مطبوع . (راجع ترجمته في : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ١ / ١٢٠ - ١٢٥ - طبعة دار صادر - بيروت - لبنان - دون إشارة إلى تاريخ الطبع ، والأعلام ١ / ١١٥) .

(٦) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري ٢ / ٣٢٨ ضبط نصه وصححه الدكتور / كمال طالب - منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، والبيت من الطويل .

(٧) هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان ، ولد سنة ٣٢٠ هـ ، كان أميرا فارسا شاعرًا ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ،توفي سنة ٣٥٧ هـ ، وله ديوان شعر مطبوع . (انظر ترجمته في : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبيّ ١ / ٥٧ - شرح وتحقيق الدكتور / مفيد محمد قميحة - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، والأعلام ٢ / ١٥٥) .

(٨) ديوان أبي فراس ص ٣٢٦ – تحقيق وشرح / كرم البستانيّ - ط دار صادر - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م، والبيت من بحر الرجز التام .

ويقصد بالحرمان في البيت المنع من المال .

ويقول (ابن حمديس) [1] في المديح :

وتقبضُ الحرمانَ منه يدٌ ... تَبْسُطُ للوفدِ العطايا الجسامِ [2]

والحرمان – هنا – يُقصد به المنع من العطاء .

وعلى هذا فالمعنى اللغوى للحرمان يدور حول المنع من الخير ونحوه ، كالرزق والغنيمة ، والقوت ، والنوال ، والمال ، والعطاء ، وغير ذلك .

والحرمان بالمعنى المشار إليه آنفا أمر نسبيّ غير مطلق ، وهذا يعنى أن الإنسان لا يوصف بالحرمان إلا إذا مُنِع شيئًا مُهمًا من شأنه أن يكون موجودًا لدى غيره من بنى جنسه في الأحوال العادية ؛ فالأعمى – على سبيل المثال – محروم ؛ لأنه فقد البصر الذى هو موجود في غيره من الناس ، والفقير – كذلك – محروم لفقدانه شيئًا يتمتع به غيره من بنى الإنسان هو ذلك القَدْر من المال الذى يكفُل له حياة كريمة ، والسجين محروم ؛ لأنه سُلب الحرية التى يتمتع به غيره من البشر ، وهكذا .

والقول بنسبية الحرمان أمر يمكن التماسه في معاجم اللغة . يقول صاحب اللسان [3] : " والحرمان : نقيضُهُ الإعْطاءُ والرزقُ ، يقال: مَحْرُومٌ ومرْزُوقٌ " ، ويُؤخذ من كلامه أن " المحروم " لا يوصف بهذا إلا مقارنًا بغيره " المرزوق " .

كما أن بعض المراجع تنصُّ على هذا المدلول النسبى للحرمان :

---

(١) هو محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلىّ، شاعر أندلسى ولد وتعلم في حزيرة" صقلية " ، وقد غرف بمعانيه البديعة ، وألفاظه الرفيعة ، توفي سنة ٥٢٧ هـ وله ديوان شعر مطبوع . (راجع ترجمته في : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبى الحسن على بن بسام الشنتريني ٤ / ١٩٢ – ٢٠٤ - تحقيق / سالم مصطفي البدرى - منشورات محمد على بيضون - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨م والأعلام ٣ / ٢٧٤) .

(٢) ديوان ابن حمديس ص ٤٦١ - صححه وقدم له الدكتور / إحسان عباس - ط دار صادر - بيروت - لبنان - دون إشارة إلى تاريخ الطبع ، وبحر البيت السريع التام .

(٣) لسان العرب – مادة " ح . ر . م " ١٢ / ١٢٥ .

جاء في معجم مفردات القرآن [1]: قوله تعالى : ﴿ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾ [2] أى الذى لم يُوَسَّع عليه الرزق كما وُسِّعَ على غيره " .

وفي تفسير التحرير والتنوير"[3]: و﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾ [سورة القلم:٢٧] إضراب للانتقال إلى ما هو أهم بالنظر إلى حال تبييتهم [4] ، إذ بيَّتوا حرمان المساكين من فضول ثمرتهم فكانوا هم المحرومين من جميع الثمار ، فالحرمان الأعظم قد اختص بهم ؛ إذ ليس حرمان المساكين بشئ في جانب حرمانهم " .

وبعد الوقوف على المعنى اللغوى للحرمان في المعاجم العربية ، وبعد التعرف على مدلول اللفظة في القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربى ، وبعد معرفة كون الحرمان أمرًا نسبيًا غير مطلق ، يمكنني تحديد مفهوم دقيق لمصطلح الحرمان أضعه أمامى أثناء إعدادى لهذه الدراسة .

فقد انتهيت إلى أن الحرمان الذى يدخل في نطاق بحثى يعنى " منع الشاعر أو فقده لشئ من شأنه أن يكون متحققًا لغيره من الناس - غالبا - بحيث يكون هذا المنع أو الفقد مؤثرًا في نفسيته ومن ثَم منعكسا على إبداعه " .

وبتفقد ألوان الحرمان في الشعر المصرى المعاصر- في ضوء هذا المفهوم - وجدت أهم اتجاهاته تكاد تنحصر في ستة :

الاتجاه الأول : الحرمان الجسدىّ .

الاتجاه الثانى : الحرمان المادىّ .

الاتجاه الثالث : الحرمان من الحرية .

الاتجاه الرابع : الحرمان من الوطن .

الاتجاه الخامس : الحرمان العاطفي .

الاتجاه السادس : الحرمان الاجتماعىّ .

وتصنيف شعر الحرمان على هذا النحو سيكون أساسًا لدراستى الموضوعيّة له بإذن الله (تعالى) .

---

(١) معجم مفردات القرآن للعلامة الراغب الأصفهانى ص ١١٤ - تحقيق نديم مرعشلى - ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٢) من الآية (١٩) سورة الذاريات ، والآية (٢٥) من سورة المعارج .

(٣) تفسير التحرير والتنوير للشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور ٢٩ / ٨٦ – دون ذكر لمكان الطبع أو تاريخه.

(٤) الضمير راجع إلى أصحاب الجنة .

أما عن علاقة الحرمان بالإبداع الأدبي فيمكن القول : إن الصلة بين الحرمان والأدب صلة جدُّ وثيقة ؛ فالأدب هو المترجم لمشاعر الأديب وأحاسيسه ، وهذه شديدة التأثُّر بما يدور حول الأديب من أحداث ، وبما يواجهه من ظروف .

وإذا كانت الأحداث والظروف العادية تؤثر في إبداع الأديب بصورة أو بأخرى ، فإن الأحداث والظروف الناشئة عن الحرمان ، الممتزجة به تكون - بلا شك - أقوى تأثيرًا في نفسية الأديب وإبداعه .

إن الأديب - بحكم طبيعته - شديد الحساسية للعوامل المحيطة به ، شديد التأثر بها ، وتأثير هذه العوامل فيه يتفاوت وفق أهميتها في حياته، وحسب ما تُمثِّله له، فإذا كان العامل هو فقده لأمر حيوى ، أو حرمانه من شئ مهم في حياته، استبان مدى تأثير عامل الحرمان في نفسه ، وفي نتاجه الأدبي .

إن إحساس الأديب بالحرمان ، وتعرُّضه لمواقف وتجارب تتصل بهذا الحرمان يبعث في نفسه لونًا من التوتر يكون له دوره في خلْق التجربة الإبداعية ونضجها .

وقد أثبتت الدراسات النفسية أن حالة مثالية من التوتر مطلوبة لكي يمكن الحصول على أفضل درجات من القدرات الإبداعية [1] .

وهذا لا يعنى - بالضرورة - أن كل حرمان ينتج أدبًا ؛ لأن الحرمان عملية نفسية تكون في طور (لا شعورى) ، وقد تنتقل بعد ذلك إلى طور شعورى هو (الإبداع)،ومثلها في ذلك مثل الصورة الشمسية تكون في أول أمرها سالبة(*negative*) ولا تصبح صورة نهائية إلا بعد الطبع لكن كل صورة سالبة لا يتحتم أن تصبح صورة موجبة ، كذلك لا يتحتم أن تتحول كل عملية نفسية إلى عملية شعورية [2] ، ومن ثم لا يتحتم أن يتحول كل حرمان إلى إبداع .

كذلك لا يمكن القول : إن حرمان الأديب هو المصدر الوحيد لفنه ، وأن آلامه هى الباعثة للإبداع الذى يعوِّض آلام الفنان وحرمانه ؛ لأنك إذا سألت علماء التحليل النفسي : لماذا كان هنالك أشخاص يعانون ما يعانيه الفنان من حرمان وآلام

---

(١) انظر : الأسس النفسية للإبداع الفنى في المسرحية - للدكتور / مصرى عبد الحميد حنورة ص ٦٢ - ط دار المعارف - الطبعة الأولى ١٩٨٠ م .

(٢) راجع: محاضرات تمهيدية في التحليل النفسى - تأليف / سيجموند فرويد - ترجمة الدكتور / أحمد عزت راجح ص ٣٢٥ - مراجعة / محمد فتحى - مكتبة الأنجلو المصرية - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

وبؤس وشقاء ، ثم هم لا يعوّضون هذا الحرمان بالخَلْق الفنى ؟ أجابوك على الفور بأن عامل الموهبة هو الذى يتدخل هنا ؛ فلابد من توافر الموهبة الفنية حتى يكون التعويض عن الحرمان بالأدب والفن ، لا بطريق آخر من طرق التعويض [1] .

فالحرمان عامل من عوامل الخلق الأدبى ، لكنه ليس كل عوامله ؛ إذ لابد من توافر الموهبة الفنية ، والاستعداد الفطرىّ لدى الشخص الذى يتعرَّض للحرمان حتى يكون حرمانه ذا أثر فاعل في عملية الإبداع .

ومن ثمّ يؤكد علماء النفس " أنه لابد من توافر الموهبة الفنية حتى يتجه التعويض التصعيدىُّ نحو إبداع فنى صِرْف، وأنه يجب ألا نخلط بين الموهبة الفنية، وهى وقف على بعض الأفراد الممتازين ، وبين الميل الفنى الفطرىّ وهو موجود لدى كل فرد منذ الطفولة ، ويتجلى في ميل الطفل إلى الرسم واللون والإيقاع والحركة" [2] .

وخلاصة القول أن الحرمان وثيق الصلة بالأدب ؛ إذ هو من أهم العوامل المؤثرة فيه ، بل والباعثة على إنشائه إذا توفر في المحروم الاستعداد الفطرى ، والموهبة الفنية .

° ° °

(١) انظر:شعر ذوى العاهات في الأدب المصرى الحديث - أطروحة " ماجستير " للباحث/على عبد الوهاب عبد الحليم مطاوع ص ٥٠ - مكتبة كلية اللغة العربية بالزقازيق .

(٢) علم النفس والأدب - للدكتور / سامى الدروبى ص ٢٤٤ - ط دار المعارف - الطبعة الثانية - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

المبحث الثاني
من صور الحرمان
في الشعر العربي القديم

إن من يطالع ديوان الشعر العربي القديم يجده حافلاً بصور عديدة من الحرمان تلوح عبر العصور الأدبية المتلاحقة ، وتتشكل وفق مؤثرات العصر ، وأحوال الشعراء .

ففي العصر الجاهلي[1] نرى صورًا للحرمان المادي في شعر الصعاليك[2] الذين تحدثوا عن حرمانهم،وعن تلك السياط النفسية التي يصبها الفقر على نفوسهم[3] ، وقد جاءت هذه الصور مصطبغة بصبغة من التعفف ، ممتزجة بألوان من القيم الخلقية والإنسانية التي تحلّى بها هؤلاء الصعاليك .

يقول (أبو خراش الهذلي)[4] مخاطبًا زوجه ، واصفًا ما وصل إليه حاله من حرمان لا يجد معه ما يقتات به ، مفتخرًا بعفته ، وإيثاره وعزته :

وَإِنِّي لأَثْوِي الجُوعَ حَتَّى يَمَلَّنِي
فَيَذْهَبَ لَمْ يُدْنِس ثِيَابِي وَلا جِرمِي[5]

---

(١) العصر الجاهلي : هو العصر الذي سبق ظهور الإسلام ، وعرف بذلك لجهل الناس فيه بالمعتقدات ، وقد اتسم أدبه بالوجدانية وصدق العاطفة . (انظر : المعجم المفصّل في الأدب - للدكتور / محمد التونجي - ط دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) .

(٢) الصعاليك : هم الشعراء الذين يتجردون للغارات وقطع الطريق ، ويتردد في شعرهم صيحات الجزع والفقر والثورة على الأغنياء والأشحاء ، ويتسمون بالشجاعة والصبر والمضاء وسرعة العَدْو . (راجع: السابق ٢ / ٥٦٨) .

(٣) انظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي - للدكتور / يوسف خليف ص ١٣٥- ط دار المعارف - الطبعة الرابعة - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٤) هو : خويلد بن مرة المعروف بأبي خراش الهذلي عمر من هذيل ، وفارس فاتك مشهور اشتهر بالعَدْو فكان يسبق الخيل ، أدرك الجاهلية والإسلام وتوفي نحو سنة ١٥ هـ . (راجع ترجمته في : الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ص ٤٤٠ - تحقيق الدكتور/ مفيد قميحة - مراجعة / نعيم زرزور – ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م ، والأعلام ٢ / ٣٢٥) .

(٥) الجِرْم : " البدن " . (لسان العرب - مادة " ج . ر . م " ١٢ / ٩٢) .

وَأَغتَبِـــق [1] المـــاءَ القَـــراحَ [2] فَأنتَـــهى
إذا الـــزادُ أمســـى لِلمُـــزَلَّجِ [3] ذا طَعـــمِ
أُرِدُّ شُـــجاعَ الـــبَطنِ [4] قَـــد تَعلَمينَـــه
وَأُوثِـــرُ غَـــيري مِـــن عِيالِـــكِ بِـــالطَعمِ
مَخافَـــةَ أن أحيـــا بِـــرُغمٍ [5] وَذِلَّـــةٍ
وَلَلمَـــوتُ خَـــيرٌ مِـــن حَيـــاةٍ عَلـــى رُغـــمِ [6]

كما نرى ألوانًا من الحرمان العاطفي لدى بعض الشعراء الجاهليين من أمثال (النابغة الذبياني) [7] الذى يكثر في شعره من الحديث عن المرأة ، وعن حرمانه منها . يقول مُصَوِّرًا ما يقاسيه من لوعة وحرمان [8] :

عُوجـــوا فَحَيّـــوا لِـــنُعمٍ دِمنَـــةَ الـــدارِ [9]
مـــاذا تُحَيّـــونَ مِـــن نُـــؤيٍ [10] وَأَحجـــارِ ؟ !

---

(١) الاغتباق :" شرب العشى " . (المصدر السابق - مادة " غ . ب . ق " ١٠ / ٢٨١) .
(٢) الماء القراح:الذى لا يخالطه شيئ يطيّب به كالعسل والتمر والزبيب.(انظر:السابق - مادة " ق . ر . ح " ٢ / ٥٦١) .
(٣) المزلج : " البخيل " . (السابق - مادة " ز . ل . ج " ٢ / ٢٨٨) .
(٤) شجاع البطن : " شدة الجوع " . (السابق - مادة " ش . ج . ع " ٨ / ١٧٤) .
(٥) الرُّغم : " الذلة " . (السابق - مادة " ر . غ . م " ١٢ / ٢٤٦) .
(٦) شرح ديوان الهذليين لأبى سعيد الحسن بن الحسين السكرى٣ / ١١٩٩ - تحقيق/ عبد الستار أحمد فراج - مراجعة / محمود محمد شاكر - مطبعة المدنى بالقاهرة - دون إشارة إلى تاريخ الطبع ، والأبيات من بحر الطويل .
(٧) هو : زياد بن معاوية شاعر جاهلى من الطبقة الأولى من أهل الحجاز ، كانت تُضرب له قبة في سوق " عكاظ " فتقصده الشعراء ، فتعرض عليه أشعارها ، توفي نحو سنة ١٨ ق . هـ ، وله ديوان شعر مطبوع . (انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ص ٨٣ – ٩٤ ، والأعلام ٣ / ٥٤ ، ٥٥) .
(٨) ديوان النابغة الذبياني ص ٨٩ ، ٩٠ – شرح وتعليق الدكتور / حنا نصر الحتّى - ط دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، والأبيات من بحر البسيط التام .
(٩) دمنة الدار : " أثرها " . (لسان العرب - مادة " د . م . ن " ١٣ / ١٥٧) .
(١٠) النُّؤى : " الحفير حول الخباء أو الخيمة يدفع عنها السيل يمينا وشمالا ويبعده " . (المصدر السابق - مادة " ن . أ . ى " ١٥ / ٣٠١) .

أقْـــوى [1] وَأَقفَـــرَ مِـــن نُعـــمٍ وَغَيَّـــرَهُ
هُـــوجُ [2] الرِيـــاحِ بـــهابي [3] التُـــربِ مَـــوّارِ [4]

وَقَفـــتُ فيهـــا سَـــراةَ اليَـــومِ [5] أَســـأَلُها
عَـــن آلِ نُعـــمٍ أَمونـــاً [6] مَـــبرَ أَســـفارِ

فَاِســـتَعجَمَت [7] دارُ نُعـــمٍ مـــا تُكَلِّمُنـــا
وَالـــدارُ لَـــو كَلَّمَتنـــا ذاتُ أَخبـــارِ

فَمـــا وَجَـــدتُ بـــها شَـــيئاً أُلـــوذُ بـــه
إِلاّ الثُمـــامَ [8] وَإِلاّ مَوقِـــدَ النـــارِ

وَقَـــد أَراني وَنُعمـــاً لاهِيَـــينِ بـــها
وَالـــدَهرُ وَالعَـــيشُ لَـــم يَهمُـــم بِـــإِمرارِ

أَيـــامَ تُخبِـــرُني نُعـــمٌ وَأُخبِرُهـــا
مـــا أَكـــتُمُ النـــاسَ مِـــن حـــاجي [9] وَأَســـراري

لَـــولا حَبائِـــلُ مِـــن نُعـــمٍ عَلِقـــتُ بِـــها
لَأَقصَـــرَ القَلـــبُ عَنـــ ـــيَ إِقصـــارِ

فهذه الأبيات تصور ما يقاسيه الشاعر من حرمان عاطفي، وتعبر عن المعاناة وعن العذاب النفسي الناجم عن رحيل المحبوبة [10] .

---

(١) أقوى : " أقفرَ وخلا " . (السابق - مادة " ق . و . ى " ١٥ / ٢١٠) .
(٢) هُوج: جمع هوجاء ، والـ - الـ - ، سي تقلع البيوت. (انظر : السابق- مادة"هـ . و . ج " ٢ /٣٩٤)
(٣) هابي التُرب : ما ارتفع من التراب . (راجع : السابق مادة " هـ . ب . و " ١٥ / ٣٥١) .
(٤) مَوّار : فعّال من " مَار تحرك وجاء وذهب " . (السابق - مادة" م . و . ر " ٥ / ٨٦) .
(٥) سراة اليوم : ارتفاع النهـ ـحر . (السابق - مادة " س . ر . ى " ١٤ / ٣٧٩) .
(٦) أمونٌ : الناقة الأمون ونيقة الخَلق ، التي أمنت أن تكون ضعيفة ، أو أمنت العثار والإعياء . (راجع : السابق - مادة " م . ن " ١٣ / ٢٥) .
(٧) استعجمت : سكتت . (انظر اللسان - مادة " ع . ج . م " ١٢ / ٣٨٩) .
(٨) الثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص . (السابق - مادة " ث . م . م " ١٢ / ٨١) .
(٩) الحاج : جمع الحاجة ، وكذلك الحوائج والحاجات . (السابق - مادة " ح . و . ج " ٢ / ٢٤٢) .
(١٠) انظر : المرأة في شعر النابغة الذبياني - للدكتور / صلاح عيد ص ٣٢ - مكتبة الآداب - الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

وفي عصر صدر الإسلام[1] لا نكاد نرى من شعر الحرمان إلا صورًا قليلة، ولعل مردّ ذلك إلى انصراف كثير من شعراء ذلك العصر عن شواغلهم الذاتية ، مسخرين إبداعهم لخدمة الدعوة الإسلامية ، وتسجيل انتصاراتها ، حتى ما جاء من شعر الحرمان في هذا العصر نجده صادرًا عن روح إسلامية خالصة ، فأبو مِحْجَنْ الثقفي[2] (رضي الله عنه) عندما يحدثنا عن حرمانه من الحرية[3] يذكر أن الذى يحزنه من ذلك أنه حُرم من الجهاد في سبيل الله (عز وجل) ، يقول في ذلك[4] :

كفى حَزَناً أن تُطعَنَ الخيلُ بالقَنا
وأُتْرك مَشْدوداً عليَّ وَثَاقِيا[5]
إذا قُمتُ عَنّاني[6] الحديدُ وغُلِّقَت
مَصاريعُ[7] من دوني تُصِمُّ المُنادِيا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ
فأصبحتُ منهم واحداً لا أُخا ليا

---

(١) عصر صدر الإسلام : هو العصر الذى واكب البعثة المحمدية ، وحكم الخلفاء الراشدين (راجع : المعجم المفصل في الأدب ٢ / ٦٣٤) .

(٢) اسمه مالك بن حَبِيب ، وقيل عبد الله ، وهو من ثقيف ، كان شاعرا مطبوعا ، وكان من الشجعان في الجاهلية والإسلام ، توفي سنة ٣٠ هـ . (انظر ترجمته في : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبي ٤ / ٣٠٩ – ٣١٣ - تحقيق الشيخ / على محمد عوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود - تقديم الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي ، والدكتور / جمعة طاهر النجار - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ٥ / ٨٩ - ٩١ - تحقيق الشيخ / خليلم أمون شيحا - ط دار المعرفة - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، والأعلام ٥ / ٧٦) .

(٣) كان أبو محجن قد حُبس في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لشربه الخمر (راجع : الأغانى لأبى فرج الأصفهانى ١٨/ ٢٩٢ - ط دار الثقافة - بيروت - لبنان - دون إشارة إلى تاريخ الطبع) .

(٤) المصدر السابق : الصحيفة نفسها .

(٥) الوثاق : " حبل أو قيد يُشد به الأسير " . (لسان العرب - مادة " و . ث . ق " ١٠ / ٣٧١) .

(٦) عنّاه : حبسه حبسا طويلا . (انظر : المصدر السابق - مادة " ع . ن . ى " ١٥ / ١٠٤) .

(٧) المصاريع : الأبواب . (راجع : اللسان - مادة " ص . ر . ع " ٨ / ١٩٩) .

وقد شَفّ [1] جسمي أنني كلّ شارق [2]
أعالجُ كبلاً [3] مُصمَتاً [4] قد بَرَانيا [5]
فللّه دَرّي يوم أتركُ مُوثَقاً
وتذهلُ [6] عني أسرتي ورحاليا
حبيساً عن الحرب العَوَان [7] وقد بَدت
وإعمالُ غمري يوم ذاك العواليا [8]
وللهِ عهدٌ لا أخيسُ [9] بعهدِه
لئن فُرِّجَت أن لا أزور الحوانيا [10]

وفي عصر بني أميّة [11] شاع شعر الحرمان العاطفي، وظهر من الشعراء مَن قصر شعره أو كاد على الغزل الممتزج بهذا اللون من الحرمان، ومن هؤلاء (مجنون ليلى) [12] الذي يحدثنا عن تباريح شوقه ولواعج حرمانه، فيقول [13] :

أرى أهلَ ليلى أورثوني صَبابَةً [14]
ومالي سِوى ليلى الغَداةَ طَبيبُ

---

(١) شفّه : أنحله وهزله واصفره حتى رق . (انظر : المصدر السابق - مادة " ش . ف . ف " ٩ / ١٧٩) .
(٢) كل شارق: كل يوم طلعت فيه الشمس. (راجع : السابق - مادة " ش . ر . ق " ١٠ / ١٧٤) .
(٣) الكَبْل : القيد الضخم . (انظر : السابق - مادة " ك . ب . ل " ١١ / ٥٨٠) .
(٤) المُصمَت : الذي لا جوف له . (السابق - مادة " ص . م . ت " ٢ / ٥٦) .
(٥) بَرَانى : أذهب لحمي . (راجع : السابق - مادة " ب . ر . ى " ١٤ / ٧١) .
(٦) تذهل عني : تتشغل عني . (انظر : السابق - مادة " ذ . هـ . ل " ١١/ ٢٥٩) .
(٧) الحرب العوان : المترددة . (السابق - مادة " ع . و . ن " ١٣ / ٢٩٩) .
(٨) يريد عوالي الرماح أي أسنتها . (السابق - مادة " ع . ل . و " ١٥ / ٨٧) .
(٩) أخيس : أنقض وأخون . (السابق - مادة " خ . ى . س " ٦ / ٧٥) .
(١٠) الحوانى : جمع حانة و " موضع بيع الخمر " . (راجع السابق – مادة " ح . و . ن " ١٣ / ١٣٣) .
(١١) يبدأ عصر بني أمية بانتهاء عصر صدر الإسلام ، وينتهي ببدء العصر العباسي سنة ٤١ هـ ، وقد اشتهر بشيوع الشعر السياسي والغزلي . (انظر : المعجم المفصل في الأدب ٢ / ٦٢٦) .
(١٢) هو : قيس بن مزاحم بن قيس من بني عامر ، ولقب بالمجنون لهيامه في حب ليلى بنت سعد ، وهو شاعر غزل من أهل " نجد " ، توفي سنة ٦٨ هـ ، وله ديوان شعر مطبوع . (راجع ترجمته في : فوات الوفيات والذيل عليها لمحمد بن شاكر الكتبي ٣ / ٢٠٨ - تحقيق الدكتور / إحسان عباس - ط دار صادر - بيروت - لبنان دون إشارة إلى تاريخ الطبع ، والأعلام ٥ / ٢٠٨ ، ٢٠٩) .
(١٣) ديوان مجنون ليلى ص ٤٤ ، ٤٥ - جمع وتحقيق وشرح / عبد الستار أحمد فراج - ط دار مصر للطباعة دون ذكر لتاريخ الطبع ، والأبيات من بحر الطويل .
(١٤) الصبابة : الشوق ، وقيل رقته وحرارته . (لسان العرب - مادة " ص . ب . ب " ١ / ٥١٨) .

إذا مـــــا رَأوني أطهَـــــروا لي مَـــــوَدَّةَ
وَمِثـــلَ سُـــيوفِ الهِنـــدِ حـــينَ أغيـــبُ
فـــإن يَمنَعـــوا عَينَـــيَّ مِنـــها فمَـــن لَهُـــم
بِقَلـــبٍ لـــه بَـــينَ الضُـــلوعِ وَجيـــبُ ؟ (١)
إن (٢) كـــانَ يـــا لَيلـــى إشـــتِياقي إلَـــيكُمُ
ضَـــلالاً وَفي بُرئـــي لِأهلِـــكِ حـــوبُ (٣)
فَمـــا تُبـــتُ مِـــن ذَنـــبٍ إذا تُبـــتُ مِـــنكُمُ
وَمـــا النـــاسُ إلا مُخطِـــئٌ وَمُصـــيبُ
بِنَفســـي وَأهلـــي مَـــن إذا عَرَضـــوا لـــه
بِـــبَعضِ الأذى لَـــم يَـــدرِ كَيـــفَ يُجيـــبُ ؟
وَلَـــم يَعتَـــذِر عُـــذرَ البَـــريءِ وَلَـــم يَـــزَل
بـــه سَـــكتَةٌ حَتّـــى يُقـــالَ مُريـــبُ
فَـــلا الـــنَفسُ يُســـليها البُعـــادُ فَتَنثَنـــي
وَلا هِـــيَ عَمّـــا لا تَنـــالُ تَطيـــبُ
وَكَـــم زَفـــرَةٍ لي لَـــو عَلـــى البَحـــرِ أشـــرَقَت
لِأنشَـــفَهُ حَـــرٌّ لَهـــا وَلَهيـــبُ
وَلَـــو أنَّ مـــا بي بِالحَصـــى فُلِـــقَ الحَصـــى
وَبِـــالريحِ لَـــم يُســـمَع لَهُـــنَّ هُبـــوبُ
وَألقـــى مِـــنَ الحُـــبِّ المُبَـــرِّحِ لَوعَـــةً
لَهـــا بَـــينَ جِلـــدي وَالعِظـــامِ دَبيـــبُ

---

(١) الوجيب :مصدر "وَجَب" التلب أى خفق واضطرب. (انظر: لسان العرب - مادة"و.ج . ب " ١ / ٧٩٤) .
(٢) لا يستقيم وزن البيت إلا بإضافة واو العطف أو فائه في أوله ، ولعلها قد سقطت في الطباعة .
(٣) الحُوب : " الإثم " . (لسان العرب – مادة " ح . و . ب " ١ / ٣٤٠) .

ومن الشعراء الأمويين الذين برز الحرمان العاطفي في أشعارهم (كُثَيِّر عَزَّة) [1] الذى يقول في أبيات تفيض لوعة وحرمانا [2] :

وما كنت أدري قبل عَزَّة ما البُكا
ولا مُوجِعاتِ القلبِ حتَّى تَوَلَّتِ
وَما أنصَفت ؛ أما النساء فبَغَّضَت
إلينا وأمَّا بالنَوالِ فضَنَّتِ
فقد حَلَفت جَهدًا بما نَحَرَت له
قُرَيشٌ [3] غَداةَ المأزَمين [4] وَصَلَّتِ
أناديكَ ما حَجَّ الحجيجُ وكَبَّرَت
بِفَيفاء [5] آل رُفقَةٌ وَأَهَلَّتِ
وَما كَبَّرَت مِن فَوقِ رُكبةَ [6] رُفقةٌ
وَمِن ذي غَزال [7] أشعَرَت [8] وَاستَهلَّتِ
وَكانَت لِقطعِ الحبلِ بَيني وَبَينَها
كناذِرَةٍ نَذرًا وَفَت فأحَلَّتِ
فَقُلتُ لَها يا عَزَّ [9] كُلُّ مُصيبَةٍ
إذا وُطِّنَت يَومًا لها النَفسُ ذَلَّتِ

---

(١) هو : كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من خزاعة ، وصاحبته عزة ، وإليها ينتسب ، كان أحد عشاق العرب المشهورين وشاعر أهل الحجاز في الإسلام ، توفي سنة ١٠٥ هـ ، وله ديوان شعر مطبوع . (انظر ترجمته في : الشعر والشعراء ص ٣٣٤ ـ ٣٤٤ ، والأعلام ٥ / ٢١٩) .

(٢) ديوان كثير عزة ص ٦٥ ، ٦٦ - شرح / عدنان زكى درويش - ط دار صادر - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٤ م ، والأبيات من بحر الطويل .

(٣) قريش : قبيلة عظيمة سكنت مكة ، وولِيت أمر البيت الحرام ، وهى أفصح العرب السنة (راجع : معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة٣/٩٤٧-٩٥١- ط مؤسسة الرسالة - الطبعة السادسة١٤١٢هـ/ ٩٩١ م) .

(٤) المأزمان : " موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة " . (معجم البلدان لياقوت الحموى ٥/٤٠- ط دار صادر - بيروت - لبنان - دون إشارة إلى تاريخ الطبع) .

(٥) الفيفاء : أصلها الصحراء الملساء ، وهى اسم لعدة مواضع .(السابق ٤ / ٢٨٥) .

(٦) رُكبة : " جبل بالحجاز " . (المصدر السابق ٣ / ٦٣) .

(٧) ذو غزال : هى ثنيّة يقال لها : قرن غزال . (السابق ٤ / ٢٠١) .

(٨) أشعرت . المراد أدت شعائر الحج أى مناسكه . (انظر : لسان العرب - مادة" ش . ع . ر " ٤ / ٤١٤)

(٩) حذف الشاعر التاء من آخر المنادى وهذا يعرف بترخيم المنادى ، ومعناه " حذف آخر المنادى للتخفيف أو للضرورة الشعرية " . (راجع : المعجم المفصل في النحو العربى - إعداد الدكتورة / عزيزة فوال بابتى ١ / ٣٣٨ - ط دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .

وفي العصر العباسي [1] ظهر لون جديد من شعر الحرمان هو الحرمان من تقدير المجتمع ، وقد جاء هذا اللون في كثير من الأحيان ممتزجا بشعر الشكوى .

يقول (أبو فراس الحمداني) [2] :

بِمَـــن يَثِـــقُ الإِنســـانَ فيمـــا يَنوبـــه ؟
وَمِـــن أيـــنَ لِلحُـــرِّ الكَـــريمِ صِـــحابُ ؟
وَقَـــد صـــارَ هَـــذا النـــاسُ إِلّـــا أَقَلَّهُـــم
ذِئابـــاً عَلـــى أَجســـادِهِنَّ ثِيـــابُ
تَغَابَيـــتُ عَـــن قَـــومي فَظَنّـــوا غَبـــاوَتي
بِمَفـــرِقِ أَغبانـــا حَصـــىً وَتُـــرابُ
وَلَـــو عَرَفـــوني حَـــقَّ مَعـــرِفَتي بِـــهِم
إِذاً عَلِمـــوا أَنّـــي شَـــهِدتُ وَغـــابوا
وَمـــا كَـــلُّ فَعّـــالٍ يُجـــازى بِفِعلِـــهِ
وَلا كَـــلُّ قَـــوّالٍ لَـــدَيَّ يُجـــابُ
وَرُبَّ كَـــلامٍ مَـــرَّ فَـــوقَ مَســـامِعي
كَمـــا طَـــنَّ [3] في لَـــوحِ [4] الهَجـــيرِ ذُبـــابُ
إِلى اللّـــهِ أَشـــكو أَنَّنـــا بِمَنـــازِلٍ
تَحَكَّـــمُ في آســـادِهِنَّ كِـــلابُ

واستمر شعر الحرمان في أدبنا العربي حتى جاء العصر الحاضر ، فاتسعت مادته ، وتعددت اتجاهاته .

* * *

(١) يبدأ العصر العباسي بانهيار الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ وينتهي سنة ٦٥٦ هـ ، وكان أرقى العصور الأدبية . (لنظر : المعجم المفصل في الأدب ٢ / ٦٣٦) .

(٢) ديوان أبي فراس (رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه) ص ٢٥ - ط دار صادر - بيروت - لبنان ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، والأبيات من بحر الطويل .

(٣) الطنين : صوت الذباب . (لسان العرب - مادة " ط . ن . ن " ١٣ / ٢٦٩) .

(٤) اللوح : العطش . (السابق - مادة " ل . و . ح " ٢ / ٥٨٥) .

المبحث الثالث
المعاصرة في الشعر المصرى
حدودها الزمنية وملامحها الفنية

المعاصرة في اللغة مصدر " عَاصَرَهُ " بمعنى " عاش معه في عصر واحد " [1] .

وهى في اصطلاح مؤرخى الأدب تعنى مرحلة من مراحل التأريخ الأدبى تلى مرحلة ما يعرف بـ (الأدب الحديث) [2] .

وقد اختلف دارسو الأدب-فيما بينهم- في تحديد الإطار الزمنى للمعاصرة في الشعر المصرى : فهناك من يُؤَرِّخ لبداية المعاصرة بالحرب العالمية الأولى(١٩١٤ - ١٩١٨ م) على أساس أنها أحدثت في المنطقة عددا من التحولات السياسية التى تصلح بداية للمعاصرة في الأدب والفن .

وهناك من يُؤرِّخ لبداية المعاصرة بثورة ١٩١٩ م على أساس أنها ثورة نبعت من الأرض المصرية ، وأسهمت في تشكيل الوجدان الفنى على نحو ذاتى وجماعى نابع من حركة الوعى بما يجرى في العصر من تحولات وتطلعات .

وهناك من يُؤَرِّخ لبداية المعاصرة بمطالع الثلاثينات على أساس أنها شهدت استجماع القوى الأدبية ، وظهور الجماعات والروابط الأدبية والدوريات المتخصصة .

وهناك من يُؤَرِّخ لبداية المعاصرة بثورة سنة ١٩٥٢ م على أساس أنها ثورة قدمت إنجازات سياسية واجتماعية غيَّرت بها من التركيب الطبقى والفكرى للمجتمع، وشاركت في وضع الإنسان في قلب التاريخ المعاصر واعيًا ومتلقيًا .

غير أن الرأى الراجح أن البداية الحقيقية للمعاصرة كانت مع مطالع القرن العشرين ؛ وذلك لأن القول بتأخر بداية المعاصرة عن هذا التحديد يلغى المرحلة التى

---

(١) المعجم الوسيط - إعداد / مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مادة " ع . ص . ر " ٢ / ٦٢٦ - الطبعة الثالثة - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .

(٢) يطلق مصطلح " الأدب الحديث " على النتاج الأدبى الذى أنشئ في مرحلة من التاريخ تبدأ من الحملة الفرنسية على مصر سنة١٧٩٨م(على الرأى المشهور) وتنتهى ببداية مرحلة المعاصرة. (انظر:المعجم المفصل في الأدب ١ / ٦٣٣) .

حملت بذور النهضة الفنية المعاصرة ، ويتجاهل المرحلة الجنينية لتخلُّق الأدب المصرى المعاصر [1] .

وقد واكب أدبَ هذه المرحلة مجموعةٌ من العوامل التى أثرت في تكوينه ومن هذه العوامل :

- إنشاء كثير من المدارس بمراحلها المختلفة .
- تأسيس الجامعة المصرية التى فُتحت أبوابها سنة ١٩٠٨ م ، وأُلقيت بها محاضرات في مختلف العلوم على يد أساتذة مصريين وأوربيين .
- ازدهار حركة الترجمة من اللغات الأوربية .
- نشاط حركة البعثات إلى البلاد الأوروبية [2] .

وقد كان لهذه العوامل وغيرها دورها البارز في نهضة الأدب المصرى في تلك المرحلة .

وقد تمثلت أهم الملامح الفنية لشعر هذه المرحلة فيما يلى :

- استيعاب الشعر لقضايا المجتمع، وتعبيره من المشاعر الإنسانية.
- تأثره بالعلوم الحديثة ، وإفادته من الآداب الغربية .
- إنتاجه لألوان فنية جديدة ، وأغراض أدبية مستحدثة .
- ميله إلى اللغة السهلة والأسلوب الواضح .
- اعتماده على التصوير ، واستحداث وسائل جديدة لإبداع الصورة .
- انقسام مبدعيه إلى مدارس أدبية نتيجة للتأثر بالغربيين .
- تمرُّد كثير من شعرائه على النظام التقليدى لموسيقا القصيدة العربية .

° ° °

(١) انظر : عن اللغة والأدب والنقد . رؤية تاريخية ورؤية فنية - للدكتور / محمد أحمد العزب - ط دار المعارف - الطبعة الأولى ١٩٨٠ م .

(٢) راجع : الأدب العربى المعاصر في مصر - للدكتور / شوقى ضيف ص ٢٤ - ٢٧ - ط دار المعارف - الطبعة الحادية عشرة - دون إشارة إلى تاريخ الطبع .